

نوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس ٢١ : الصحابي أبو عبيدة بن الجراح

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٨-٠١-٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

أ. جمال: أستاذ راتب، سيدنا الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح شخصية فذة من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ياريت في هذا الوقت المبارك ننقى الضوء على هذه الشخصية الكريمة.

أ. راتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أبو عبيدة بن الجراح لقبه النبي الكريم بأنه أمين هذه الأمة، فقال عليه الصلاه والسلام: لكل أمةٍ أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة.

كان وضيء الوجه، بهي الطلعة، نحيل الجسم، طويل القامة، خفيف العارضين، ترتاح العين لمرآه، وتأنس النفس لقياه، ويطمئن إليه الفوائد، وكان إلى ذلك رقيق الحاشية، جم التواضع، أي كثير التواضع، شديد الحياة، لكنه كان إذا حزب الأمر وجد الجد يغدو كأنه الليث عاديًا، فهو يشبه نصل السيف رونقاً وبهاءً وبحكيه حدةً ومضاءً، ذلك هو أمين هذه الأمة أمّة محمد صلى الله عليه وسلم، عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي المكنى بأبي عبيدة.

أ. جمال: أستاذ راتب وصفه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال كلماتٍ مضيئة بحقه ياليت أن تتكلم؟

أ. راتب: نعنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال: ثلاثة من قريش أصبح الناس وجهاً، وأحسنها أخلاقاً، وأثبتها حياءً، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم لم يكذبوك، أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح، هذا إجابة عن سؤالكم.

وكان أبو عبيدة من السابقين الأولين إلى الإسلام، فقد أسلم في اليوم التالي لإسلام أبي بكر، وكان إسلامه على يدى الصديق نفسه، فمضى به وبعد الرحمن بن عوف وبعثمان بن مظعون وبالأرقام بن أبي الأرقام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعلنوا بين يديه كلمة الحق، فكانوا القواعد الأولى التي أقيمت عليها صرح الإسلام العظيم.

أ. جمال: أستاذ راتب أبو عبيدة له تجربة، قاسية ومريرة في مكة، ياليت أن نسلط الضوء.

أ. راتب: هذا الصحابي الجليل أبو عبيدة عاش تجربة المسلمين القاسية في مكة منذ بدايتها إلى نهايتها، وعاني مع المسلمين السابقين من عنفها وضرارتها وآلامها وأحزانها ما لم يعاني أتباع دين على ظهر الأرض، فثبت بالابلاء، وصدق الله ورسوله في كل موقف، لكن محنّة أبي عبيدة يوم بدر فاقت في عنفها حسبان الحاسبين، وتجاوزت خيال المتخيلين.

أ. جمال: ماذا عن هذا الموضوع أستاذ راتب؟

أ. راتب: إنطلق أبو عبيدة يوم بدر يصل بين الصفوف صولة من لا يهاب الردى فهابه المشركون، ويحول جولة من لا يحذر الموت فحذره فرسان قريش وجعلوا يتحدون عنه كلما واجوه، لقد أبلى هذا الصحابي الجليل في معركة بدر بلاءً حسناً، فكان مقداماً شجاعاً غير هابٍ قد قال عليه الصلاة والسلام مرّةً يصف أصحابه: فرسان النهار رهبانٌ في الليل.

أ. جمال: أستاذ راتب فعلًاً هذا الحديث عن صحابة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام حيث في متعة وفيهفائدة وفيه النصيحة، ياليت أن نتابع لأنك شوقتنا من خلال حديثكم عن هذا الصحابي الجليل حبذا من متابعة؟

أ. راتب: لم يكن ذلك عجيباً من أبي عبيدة، فقد بلغ من قوة إيمانه بالله ونصحه لدينه، والأمانة على أمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم مبلغاً طمحت إليه نفوسٌ كبيرة عند الله، حدثَ محمد بن جعفر، قال: قدم وفدٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا ليحكم بيننا في أشياء من أموالنا إختلفنا فيها، فإنكم عندنا عشر المسلمين مرضيون.

قال عليه الصلاة والسلام: إيتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين، فقال عمر بن الخطاب: فرحت إلى صلاة الظهر مبكراً وإنني ما أحببت الإمارة حبي إياها يوم إذ رجاء أن أكون صاحب هذا النعم القوي الأمين، فلما صلى بنا النبي عليه الصلاة والسلام الظهر، جعل ينظر عن يمينه وعن يساره، فجعلت أتطاول له ليراني، فلم يزل يقلب بصره فيما بيننا حتى رأى أبو عبيدة بن الجراح فدعاه فقال: أخرج معهم فاقضي بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه.

فقلت: ذهب بها والله أبو عبيدة.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦)﴾

(القصص)

في التعريف المعاصر القوي هو الكفاء، والأمين هو المخلص، ولم يكن أبو عبيدة أميناً فحسب وإنما كان يجمع القوة إلى الأمانة، وقد برزت هذه القوة في أكثر من موطن، برزت يوم بعث النبي الكريم جماعةً من أصحابه ليتقموا غيراً لقريش وأمر عليهم أبو عبيدة ربي الله عنهم وعنده وزودهم جراباً من تمر لم يجد لهم غيره، فكان أبو عبيدة يعطي الرجل من أصحابه كل يوم تمرةً، فيما يخصها الواحد منهم كما يخص الصبي ضرع أمه، ثم يشرب عليها ماءً فكانت تكفيه يومه إلى الليل، وفي يوم أحدٍ حين هزم المسلمون وطبق صاحب المشركين ينادي: دلوني على محمد، دلوني على محمد، كان أبو عبيدة أحد النفر العشرة الذين أحاطوا بالنبي عليه الصلاة والسلام ليزودوا عنهم بتصورهم رماح المشركين، فلما انتهت المعركة كان عليه الصلاة والسلام قد كسرت رباعيته وشُجُّ جبينه وغارت في وجنته حلقتان من حَقَّ درعه، فأقبل عليه الصديق يريد انتزاعهما من وجنته، فقال له أبو عبيدة: أقسم عليك أن تترك ذلك لي. فتركه، فخشى أبو عبيدة إن يقتلعاهما بيده وأن يؤلم النبي عليه الصلاة والسلام، فعرض على أولاهما بثنيته عصاً قوياً محكماً

فاستخر جهما ووَقَعَتْ شَيْتَهُ، أَيْ سَنَهُ الْأَمَامِيُّ، ثُمَّ عَضَّ عَلَى الْأَخْرَى بِشَيْتَهُ الثَّانِيَةِ فَاقْتَلَعَهَا فَسَقَطَتْ سَنَيْتَهُ الثَّانِيَةُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَكَانَ أَبِي عَبِيدَةَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ هَتَّمًا، الْأَهْمَمُ هُوَ الَّذِي كُسْرَتْ أَسْنَاهُ الْأَمَامِيَّةُ.

أ. جمال: ما هذا الحب وما هذا التفاني في خدمة النبي عليه الصلاة والسلام؟

أ. راتب: أَبُو سَفيَانَ قَالَ مَرَّةً: مَا رَأَيْتَ أَحَدًا يُحِبُّ حَبَّ اَصْحَابِ مُحَمَّدٍ.. لَقَدْ شَهَدَ أَبِي عَبِيدَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مِنْذَ صَحْبَهُ إِلَى أَنْ وَفَاهُ الْيَقِينُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّقِيفَةِ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ لِأَبِي عَبِيدَةَ: أَبْسَطْ يَدَكَ أَبْيَاكَ، فَإِنِّي سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَأَنْتَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ.. فَقَالَ أَبُو عَبِيدَةَ: مَا كُنْتُ لَأَقْدِمَ بَيْنَ يَدِي رَجُلٍ أَمْرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُؤْمِنَا فِي الصَّلَاةِ فَأَمَّا حَتَّى مَاتَ.. يَعْنِي سَيِّدُنَا الصَّدِيقِ.. ثُمَّ بُوَيْعَ بَعْدَ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ، فَكَانَ أَبُو عَبِيدَةَ خَيْرُ نَصِيبِهِ فِي الْحَقِّ، وَأَكْرَمُ مَعْوَانَ لِهِ عَلَى الْخَيْرِ، ثُمَّ عَاهَدَ أَبُو بَكْرٍ بِالْخَلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى الْفَارُوقِ فَدَانَ لَهُ أَبِي عَبِيدَةَ بِالطَّاعَةِ، وَلَمْ يَعُصْهُ فِي أَمْرٍ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةٍ، هَلْ تَدْرِي الْأَخْ جَمَالُ مَا الْأَمْرُ الَّذِي عَصَى فِيهِ أَبُو عَبِيدَةَ أَمْرُ خَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ؟

أ. جمال: ياريت أن نعرف.

أ. راتب: لَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ حِينَ كَانَ أَبُو عَبِيدَةَ بْنُ الْجَرَاحَ فِي بَلَادِ الشَّامِ، يَقُودُ جِيَوشَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ نَصْرٍ إِلَى نَصْرٍ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدِيهِ الْدِيَارَ الشَّامِيَّةَ كُلَّهَا، فَبَلَغَ الْفَرَاتَ شَرْقًا وَآسِيَا الصَّغَرِيَّ شَمَالًا، عِنْدَ ذَلِكَ دَهْمَ بَلَادِ الشَّامِ طَاعُونٌ، مَرْضٌ وَبَائِيٌّ خَطِيرٌ، مَا عَرَفَ النَّاسُ مِثْلَهُ قَطُّ، فَجَعَلَ يَحْصُدُ النَّاسَ حَصَداً، فَمَا كَانَ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَّا أَنْ وَجَهَ رَسُولُهُ إِلَيْهِ أَبِي عَبِيدَةَ بِرِسَالَةٍ يَقُولُ فِيهَا: إِنِّي بَدَتْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ لَا غَنِيَّ لِي عَنْكَ فِيهَا، إِنَّ أَنَاكَ كَتَابِي لِيَلَالًا فَإِنِّي أَعْزِمُ عَلَيْكَ أَلَا تَصْبِحَ حَتَّى تَرْكِبَ إِلَيَّ، وَإِنَّ أَنَاكَ نَهَارًا فَإِنِّي أَعْزِمُ عَلَيْكَ أَلَا يَمْسِي حَتَّى تَرْكِبَ إِلَيَّ، فَلَمَّا أَخَذَ أَبِي عَبِيدَةَ كِتَابَ الْفَارُوقِ قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ حَاجَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيَّ، فَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَبِقَ مِنْ لَيْسَ بِبَاقٍ ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ (يَعْنِي أَرَادَ أَنْ يَبْعَدَهُ عَنِ هَذَا الْوَبَاءِ) فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ حَاجَتَكَ إِلَيَّ، وَإِنِّي فِي جَنْدِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَجِدُ بِنَفْسِي رَغْبَةً عَنِ الدِّيْنِ يَصِيبُهُمْ، وَلَا أَرِيدُ فِرَاقَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ وَفِي أَمْرِهِمْ، فَإِذَا أَنَاكَ كَتَابِي هَذَا فَحَلَّنِي مِنْ عَزْمِكَ وَأَذْنَ لِي بِالْبَقاءِ.

فَلَمَّا قَرَأَ عَمَرُ الْكِتَابَ بَكَى حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ مَنْ عَنْهُ: لَشَدَّةُ مَا رَأَوْهُ مِنْ بَكَائِهِ: أَمَاتَ أَبَا عَبِيدَةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّ الْمَوْتَ مِنْهُ قَرِيبٌ. وَلَمْ يَكُنْ يَكْذِبْ ظَنَ الْفَارُوقِ إِذْ مَالَ بِسَبَبِ أَبِي عَبِيدَةَ أَنْ أَصِيبَ بِالْطَّاعُونَ، فَلَمَّا حَضَرَتِهِ الْوَفَاءُ أَوْصَى جَنْدَهُ قَالَ: إِنِّي مُوصِيكُمْ بِوَصِيَّةٍ إِنْ قَبَلْتُمُوهَا لَنْ تَرْزَلُوا بِخَيْرٍ، أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَصُومُوا رَمَضَانَ وَتَصَدَّقُوا وَحْجَوْا وَاعْتَمَرُوا وَتَوَاصُوا وَانْصَحُوا لِأَمْرَائِكُمْ وَلَا تَغْشُوهُمْ وَلَا تَلْهُمُ الدُّنْيَا، إِنَّ الْمَرْءَ لَوْ عَمِّرَ أَلْفَ حَوْلَ مَا كَانَ لَهُ بَدْءٌ مِنْ أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَصْرِعِي هَذَا الَّذِي تَرَوْنَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ وَبَرَكَاتُهُ، ثُمَّ إِنْقَتَ إِلَيْهِ

معاذ بن جبل وقال: يا معاذ صلّى بالناس. ثم ما لبست أن فاضت روحه الطاهرة، فقام معاذ وقال:
أيها الناس إنكم قد فُجِعْتُم برجلٍ، والله ما أعلم أني رأيت رجلاً أَبْرَ صدراً، ولا أَبْعَدْ غائلاً، ولا
أشد حباً للعقاب، ولا أَنْصَحُ للعامة منه فترحموا عليه يرحمكم الله.

أ. جمال: رحم الله عزّ وجل هذا الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح، وأهلاً ومرحباً بفضيلة
الشيخ محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية التربية جامعة دمشق، والمدرس الديني في
مساجد دمشق، وخطيب جامع النابلسي بدمشق ، أهلاً بكم فضيلة الشيخ، نشكركم على هذه على
هذه الإضافات حول هذا الصحابي الجليل، أهلاً بكم ومرحباً، لقاونا في حلقة قادمة إنشاء الله.

والحمد لله رب العالمين